

Sources of Knowledge in Text Grammar: A Study on the Epistemological Foundations of Textual Standards According to De Beaugrande

Prof. Dr. Ahmed Rasan Sahan

University of Basrah / College of Arts

E-mail: ahmed.rasan@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This research consists of an introduction to the sources of knowledge and the types of knowledge acquired by humans, followed by two main sections in which the researcher explores the impact of sensory perception and reason within the broader framework of text grammar. The researcher details the functions of sensory perception and reason, and their interplay in establishing the textual standards proposed by De Beaugrande. The focus is on their roles in identifying the manifestations of these textual standards during text analysis.

This approach represents the researcher's attempt to deconstruct De Beaugrande's linguistic thought, aiming to uncover the epistemological foundations he considered when formulating textual standards. The study concludes with findings derived from this mode of thinking within grammatical theory, emphasizing the need for researchers in text grammar to adhere to linguistic knowledge prerequisites—whether sensory or rational—before engaging in the study of texts.

Key words: Sources of Knowledge, Sensory Perception, Reason, Text Grammar, Textual Standards.

مصادر المعرفة في نحو النص

بحث في التأسيس المعرفي للمعايير النصية عند دي بوجراند

أ.د. أحمد رسن صحن

جامعة البصرة / كلية الآداب

E-mail: ahmed.rasan@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يتألف هذا البحث من مدخل في مصادر المعرفة وأنواع المعارف التي يحصل عليها الإنسان، ومبحثين يبين الباحث فيهما أثر بعض الحواس الظاهرة وأثر العقل في الإطار العام لنحو النص ثم يفصل الباحث وظيفة الحواس الظاهرة ووظيفة العقل واشتراكهما في وضع المعايير النصية عند دي بوجراند. ويركز على وظائفهما في البحث عن تجليات المعايير النصية عند تحليل النصوص. كل ذلك يشكّل محاولة من الباحث في تفكيك التفكير اللساني عند دي بوجراند للتوصل إلى الأصول المعرفية التي نظر إليها عندما وضع المعايير النصية، ثم توصل الباحث إلى نتائج مستنبطة من طريقة ذلك التفكير في النظرية النحوية تلزم الباحثين في نحو النص بشروط المعرفة اللسانية سواء كانت حسية أم عقلية قبل التوجّه نحو دراسة النصوص.

الكلمات المفتاحية: مصادر المعرفة ، الحواس الظاهرة ، العقل ، نحو النص ، المعايير النصية .

مدخل إلى مصادر المعرفة

تعريف مصادر المعرفة:

يقصد بمصادر المعرفة ((القوى الإدراكية أو طرق المعرفة وأدواتها التي ننال بواسطتها المعرفة ... وأهم هذه الطرق أو القوى: الحواس الظاهرية... الحواس الباطنة، (وتشمل الحافظة، والتخيل، والخيال...)) الشهود... العقل... الشهادة))^(١).

أنواع الإدراكات الإنسانية:

تُبين نظرية المعرفة مجموعة من الإدراكات والعلوم التي يحصل عليها الإنسان عن طريق قواه الإدراكية السابقة، وهي^(٢):

- الإدراك الحسوري عن طريق القلب المعنوي كإدراك حقيقة النفس، وحقيقة الملائكة.
 - الإدراك الحسيّ يحصل عن طريق الحواس الظاهرية كإدراك الشمس والضوء والرائحة والخشونة.
 - الإدراك الحسيّ يحصل عن طريق الحواس الباطنية كالاستنكار والحفظ والتخيل.
 - والحواس الباطنية هي: الحسّ المشترك والخيال والحافظة والمتصرفة (المتخيلة والمتفكرة) والواهمة.
 - الإدراك العقليّ كإدراك مفهوم الإنسان ومفهوم اللغة وغيرهما من المفاهيم الكلية.
- وما يتصل بالمعايير النصية من هذه الإدراكات نوعان لهما الأثر الكبير في دراستها وهما :

١ - الإدراك الحسيّ:

هو ((معرفة للعالم المحسوس خارج الذهن، ويحصل عن طريق الحواس الظاهرية))^(٣).
وقيل في المعرفة الحسية ((هي إدراك الصورة المجسمة الحاضرة للنفس المنتزعة من الأشياء المادية في هذا العالم بواسطة الجوارح المتصلة مباشرة بالخارج))^(٤).

وتشمل الحواس الظاهرة: حاسة الذوق والسمع والشمّ واللمس والبصر، ومن صفات هذه الحواس ما يأتي^(٥):

- تدرك ظواهر الأشياء.
- يتوقف إدراكها على الاتصال بالأشياء المحسوسة، ويزول بزوال هذا الاتصال.
- يُدرك بالحواس علاقات : التقارن والتعاقب والتوالي بين الظواهر من غير معرفة السبب فيما بينها.
- التوصل المباشر بالحواس إلى المفاهيم الجزئية، والحواس تمهد الأرضية لانتزاع مفاهيم كلية ماهوية محسوسة.

٢ - الإدراك العقلي

تعريف العقل:

هناك تعريفات متعدّدة للعقل من أبرزها وأوضحها ((القوة الإدراكية الخاصة للنفس الناطقة))^(٦).

الإدراك العقلي:

تعريفه:

هو المعرفة العقلية التي تعني ((الإدراك الكلي للأشياء المجردة عن الجسمية وعوارضها المادية، فهي إدراك للمعنى والوصف بنحو عام كالإنسان، لا الصورة بنحو شخصي كهذا الإنسان أو ذاك))^(٧).
وقيل في تعريف المعرفة العقلية ((هي إدراك الصورة المجسمة تبعاً للإدراك الحسي في حدوثه لا في بقاءه، ثم تحتفظ بها النفس وتستدعيها متى شاءت حتى بعد غياب المعلوم في الخارج))^(٨).

وظائف العقل:

للعقل وهو القوة المدركة التي يتميّز بها الإنسان عن المخلوقات الأخرى وظائف وعمليات عقلية في المعرفة العقلية، وهي^(٩) :

- ١- الاستنتاج أو الاستدلال وحقيقته ((استخراج حكم موضوع مشخص، من حكم كلي مستتبط))^(١٠).
- ٢- إدراك المفاهيم الكلية مثل مفهوم الإنسان ومفهوم العلم ومفهوم الكلام وغيرها.
- ٣- تصنيف الموجودات وتأليف الأشياء المختلفة تحت مفهوم واحد مثل وضع مجموعة من الأسماء تحت مفهوم "الاسم المعرفة" كالعلم والمعرف بأل والضمائر وغيرها.
- ٤- التجزئة والتحليل أو القسمة للمفاهيم مثل تجزئة مفهوم الفعل إلى حدث وزمن.
- ٥- التركيب والتلفيق مثل قيام العقل بتركيب قضيتين لإنتاج قضية ثالثة. والتلفيق بين مفهومين لإيجاد مفهوم جديد مثل تصور فرس ذي جناحين بعد إدراك مفهوم الفرس والجناحين .
- ٦- درك المفاهيم الإبداعية تتمثل بصناعة مفاهيم ليس لها مصداق خارجي تُنتزع منه مثل مفهوم المجتمع ومفهوم الرئاسة وغيرها.

المحور الأول - إدراك الحواس الظاهرة في نحو النص عند دي بوجراند:

نرصد المعرفة الحسية في آراء بوجراند وأفكاره التي شكلت تنظيره، وتجلّت في تطبيقاته أيضاً. إنّه تعامل مع المعرفة الحسية كثيراً، والمعرفة الحسية الأولى التي يتلقاها اللساني في نحو النص هي إدراك موضوع نحو النص، وهو النص نفسه. وهو موضوع محسوس مقروء بالعين، فحصل دي بوجراند على

هذه المعرفة باطلاعه على النصوص المكتوبة التي درسها، فهو يُعدّ قارئاً يُدرك النص في صورته المكتوبة عن طريق حاسة البصر بقراءته.

ودي بوجراند يصرّح بمعرفته المباشرة بالنصوص المكتوبة أكثر من النصوص المسموعة، وهذا الاتصال المباشر يكون عن طريق حاسة البصر التي من خلالها يحصل على معرفة بتلك النصوص، فقال ((جرت تجاربي وتحليلاتي في معظمها على النصوص المكتوبة))^(١١).

وهي معرفة محدودة تمثل نقطة ضعف في دراسته؛ لأنه يسعى إلى وضع نحو كلي للنصوص الممكنة في حين كانت تطبيقاته على مجموعة من النصوص الإنجليزية. بل نقول باطمئنان : إنّ دي بوجراند لا يقدر وحده على دراسة النصوص في اللغة الإنجليزية جميعها. فكيف يضع نحوًا كليًا للنص في اللغات جميعها؟! . إنّها مهمة غير ممكنة بأن يقوم بها باحث واحد أو مجموعة باحثين، ((ولا يمكن للسانيات النص أن تعمل على تهيئة نحو تجريدي لتوليد كل النصوص الممكنة في اللغة... فمجال التوليد أوسع من أن يحاط به، ويترد اتساعه على الدوام))^(١٢).

وانتهى به الدرس النصي إلى مرحلة غير نهائية في تحليل النصوص الإبداعية وهي تحتاج إلى دراسات أخرى، فهو يقول: ((إنّ تجاربي فيما يتصل بإنتاج النصوص الخلاقة واستقبالها لم تصبح نهائية حتى الآن. ويرجع ذلك إلى العقبات العملية التي تحول دون الوصول إلى عمل خلاق في ظروف يمكن الوثوق بها))^(١٣).

وهو يعترف بنقص دراسته في اقتصاره على اللغة الانجليزية مع اختلاف كثير من نواحي النصية في لغات أخرى يختلف بعضها في نظمه اختلافًا تامًا عن الإنجليزية^(١٤).

ومن عيوب دراسة دي بوجراند أنّه لم يعتنِ بالبعد السمعي للنص كثيرًا، فهذا الأمر يقلّل من المعارف المحسوسة التي تُفيد في فهم النص بوصفه مادة لغوية تُدرك عن طريق حاسة السمع، قال: ((لم أتناول بأي قدر من التركيز ذلك الدور الحيوي الذي لا ينكر لتغيم النص))^(١٥).

ويحصل المتلقي اللساني للنص بعد تشخيص النص المكتوب على معرفة أخرى تبيّن صفات النص الظاهرة من الطول والقصر، وهي من المعارف الحسية التي تتال بالبصر أيضًا عند قراءة النص، فيعلم مقدار مساحة النص اللفظية المكتوبة، وهذه الصفة المعلومة بالبصر جعلها دي بوجراند من مهام نحو النص الذي سيتجاوز الجملة إلى دراسة النص، ((فنحن لا نتحول عن استكشاف الأقصر إلى استكشاف الأطول من نماذج اللغة فحسب، وإنما نجعل الاهتمام أيضًا يتجه إلى إجراءات الاستعمال ... للغة الاتصال بدلًا من التركيز على الصيغ المجردة في الذهن))^(١٦).

فتشكل المعرفة الحسية الخطوة الأولى في نحو النص التي تحقّق الاتصال بالنص مباشرة، ولا يقف البحث اللساني عندها. بل يتحرّك نحو خطوة جديدة في معرفة النص، وهي النظر إلى النص من جهة

مصادر المعرفة في نحو النص بحث في التأسيس المعرفي للمعايير النصية عند دي بوجراند

الفكر والقصد،)) ولا يمكن النظر إلى النص بزعم أنه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفية ... أو الرموز. إنّ النص تجلّ لعمل))^(١٧).

يُفهم من كلام بوجراند نظرتين يقوم بهما اللساني عند محاولته فهم النص، وهما النظرة الحسية التي تُدرك شكل النص ومكوناته اللغوية أو صورته اللفظية بالسمع أو صورته الكتابية بالبصر، وهذه النظرة تمثل انطلاقة اللساني في التعرف على النص.

إنّ دي بوجراند مدرك زويا النظر المختلفة إلى النص ، فقد تكون النظرة حسية أو عقلية، وتدخل النظرة الحسية في مجال الملاحظة، ف((يمكن لنص منطوق أو مكتوب باللغة الإنجليزية أن يكون أو يبدو مركبًا من أمور مختلفة فقد يلاحظ من يتأمله رتلًا من الأصوات أو الصيغ التي ينثو بعضها بعضًا في الزمن الحقيقي للكلام، أو حركة من الشمال إلى اليمين على الصفحة))^(١٨).

وهذه النظرة تكون مباشرة، يعبر عنها دي بوجراند بالملاحظة، وتُدرك ((جوانب من اللغة يسهل الوصول إليها بالملاحظة : كالأصوات والصيغ وترتيب عناصر النطق))^(١٩). ثم تليها نظرة أخرى تتعمق في محتوى النص وعلاقاته بسياقه التداولي. وقد بيّن دي بوجراند سعة المادة اللغوية في البحث اللساني ومجاله، فهو يبدأ بالمعلومات الحسية المباشرة حتى المعرفة العقلية المعمّقة، فمادة اللسانيات النصية هي اللغة الإنسانية التي ((تمتد بين ما يُدرك بالملاحظة من التخاطب المباشر وبين العويص من التأملات الرياضية والفلسفية في اللغة))^(٢٠).

ويُشير دي بوجراند إلى نوع آخر من المعرفة الحسية أو الإدراك الحسي خارج النص يتمثل في المعطيات الحسية التي يتعرّف عليها المتكلم، ويوظّفها في بناء نصه، ويفيد من المدركات الحسية في إنتاج النص بطريقة يتغلب فيها المتكلم على قواعد الجملة، وينتفع منها المتلقي في فهم النص ((إن قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص يمكن أن يتم التغلب عليها ... بواسطة الاهتمام بتحفيّزات تعتمد على سياق الموقف ... فالعناصر التي يمكن فهمها من الموقف مثلًا من خلال الإدراك الحسي يمكن السكوت عنها أو اقتضابها بواسطة المتكلم دون ضرر يعود على الطاقة الاتصالية للنص))^(٢١). وهذه الطريقة التي تسمح للمتكلم بتجاوز قيود الجملة عن طريق الحذف أو الإيجاز مع المحافظة على قدرة النص في التواصل.

إنّ دخول النص في منطقة التواصل يفتح أفق المعرفة الحسية على مجموعة من العلوم التي تزود اللساني بمعارف حسية كثيرة إلى جانب معارف عقلية كثيرة أيضًا. ((إنّ الحدود التقليدية الضيقة للسانيات تتلاشى أمام التفاعل القوي بينها وبين العلوم ذات الصلة بها، وهي علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسوب الآلي والسيموطيقا والبيرنطيقا والتربية والدراسات الأدبية. وينبغي للسانيات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هي حقل للبحث ... أن تصبح علمًا محوريًا للخطاب والاتصال))^(٢٢).

فهي علوم تتداخل فيها المعلومات الحسية مع المعلومات النفسية والعقلية التي يحصل عليها العلماء في هذه المجالات عند دراسة موضوعاتهم، فيحصل عليها اللساني إما بمطالعة كتبهم أو بالاستماع إلى كلامهم مباشرة ثم يوظف هذه المعطيات العلمية في تحليل النص وفهمه. وهذه المعرفة المكثفة عن النص ينبغي أن يحصل عليها اللساني قبل دراسة ذلك النص حتى يمتلك الأدوات الضرورية للتحليل النصي في ضوء نظرية نحو النص.

ويرى دي بوجراند أهمية عدد من العلوم في تحليل المحادثات، ف((واضح أن دراسة المحادثة يجب أن تتم بواسطة التآزر بين علوم مختلفة هي: اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا والحساب الآلي))^(٢٣).

ويُدرك اللساني من وجهة النظر إلى وظيفة النص الاتصالية أكثر من معلومة حسية تتمثل بالمتكلم والمخاطب في وجودهما الحسي؛ وهذا الإدراك يُعدّ من مدخلات الحواس الظاهرة، فيرى اللساني الأشخاص والأماكن والأشياء، أو يسمع الأصوات والحوارات أو يشمّ الروائح أو يلمس الأجسام أو يتذوق الطعوم؛ ل((إنّ النص تجلّ لعمل... إنساني يَنوي به... شخص أن ينتج نصًا ويوجّه... السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة))^(٢٤).

ويرى دي بوجراند أنّ التجربة المحسوسة في استقراء النصوص والاطلاع على أنواعها أساس لنجاح نحو النص. ((نرى نجاح لسانيات النص يعتمد على أساس تجريبي واسع. إذ يجب أن نبحث بنشاط عن الشواهد المتنوعة من كل أجناس النصوص: من القصص، والروايات، والإعلانات، ومن كثير مما دون ذلك))^(٢٥).

وعندما نلج إلى المعايير النصية؛ لندرك وظائف الحواس في تحديدها نجدها بارزة في المعايير الآتية:

١ - معيار السبك

إنّ المعيار الأول يمكن رصد وسائله عن طريق حاسة البصر، فالوسائل اللغوية تتخذ أشكالاً وهيئات تُرى مباشرة بالبصر، ويمكن أن تميّز بعضها من بعض بالرؤية البصرية لاختلاف صورها المكتوبة، ويمكن إدراكها بالسمع لاختلاف صورها المنطوقة. فإنّ ((السبك... وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية... على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق... بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي... وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات... والتراكيب... والجمل... وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية... والأدوات والإحالة المشتركة... والحذف والروابط))^(٢٦).

إنّ المعرفة الحسية البصرية مدخل إلى فهم التماسك عن طريق تحديد وسائله اللفظية، فللحواس ((ميزة أخرى ... هي إمكان إدراك التقارن والتعاقب والتوالي بين الظواهر بها فقط، غير الحواس لا تدرك طبيعة العلاقة بينها، ولا تدرك هل يوجد علاقة عليّة أو لا))^(٢٧).

إنّ حاسة البصر تُدرك توالي المكونات اللغوية للنص في امتداد يشكل سلاسل لغوية مكتوبة. وحاسة السمع تُدرك توالي المكونات اللغوية للنص إنّ كانت منطوقة، فحاسة البصر ترى الكلمة المفردة وما بعدها من الكلمات المتصلة بعضها ببعض في الحيز المكاني، وتدرك الصورة الكتابية للنص الذي يملأ الورقة أو أجزاء منها في سطور منظمة.

٢ - معيار الالتحام:

يبين دي بوجراند هذا المعيار بقوله: ((الالتحام ... هو يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي... واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على (١) العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص... (٢) معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، (٣) السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، وتدعيم الالتحام بتفاصيل المعلومات التي يعرضها النص... مع المعرفة السابقة بالعالم))^(٢٨).

من هذا التعريف نستنبط وظيفة الحواس الظاهرة في إدراك المعلومات المؤثرة في تكوين هذا المعيار، فهناك ألفاظ أو صور نطقية أو صور كتابية متسلسلة تمثل شكل النص، وهناك أحداث وأعمال وموضوعات ومواقف وتجارب تمثل معنى النص يرصدها المتلقي بحواسه في النص ثم يقوم بإدراك حسي لتلك المكونات النصية بعد الدقيق في الألفاظ عن طريق علاقة الإحالة بين الشكل اللغوي للنص وعالمه الخارجي الذي تكثر فيه الأشياء المحسوسة. وبعد إدراك هذه المعلومات الحسية اللفظية والأشياء الخارجية يستلمها العقل من الحواس؛ ليؤدي وظيفته في إدراك الالتحام في معارف النص.

٣ - معيار الموقف

يقصد دي بوجراند بهذا المعيار ((رعاية الموقف ... هي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه... وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالواجهة في شأن من أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهريّة كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر (مثلاً: جلجامش أو الأوديسا))^(٢٩).

للحواس حصة كبيرة في معرفة معيار الموقف عن طريق قراءة النص وإدراك الموقف الخارجي الذي يرتبط به النص والاطلاع على التجارب السابقة؛ لأنّ المبدع يتلقى معارفه من المواقف التي يتفاعل معها مباشرة عن طريق الحواس الظاهرة، وهذه المعرفة الحسية بالموقف الخارجي تتفاعل مع المعرفة العقلية؛

مصادر المعرفة في نحو النص بحث في التأسيس المعرفي للمعايير النصية عند دي بوجراند

للتوصل إلى أحكام نصية ((والمعرفة الإنسانية بالعام تهيئ للإنسان خلفية مشبعة بالتعويضات ... والتفصيلات ... والاحتمالات ... والتفاعلات ... بالنسبة لكل حكم يحكمه الإنسان، ويمكن الوصول إلى المواقف الاتصالية بواسطة الحواس، وهي ذات علاقة ثرية بالتجارب الماضية))^(٣٠).

٤ - معيار التناص

عزفه دي بوجراند بقوله: ((هو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة بوساطة أم بغير وساطة. فالجواب في المحادثة ... أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة))^(٣١). إنَّ هذا المعيار يتوقف إدراكه من خلال الاطلاع على النص الذي يُراد دراسته ونصوص أخرى من خلال حاسة البصر بالقراءة أو حاسة السمع، وكذلك إدراك التجارب المحسوسة لهذه النصوص، ومعرفة الأشكال اللغوية المتشابه فيها ولاسيما التناص اللغوي المباشر.

٥ - معيار الإعلامية

يرى بوجراند أنَّ ((الإعلامية ... هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم ... في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم النص... في مقابلة البدائل الممكنة))^(٣٢). إنَّ هذا المعيار تشارك في فهمه واستنباطه من النص مصادر معرفية منها الحواس الظاهرة التي تهيئ معلومات عن النص للعقل الذي يتفاعل معها في تحديد هذا المعيار الذي هو "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم ... في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم النص". فثمة وقائع وأحداث في متن النص منها ما هو معانٍ حسية تحيل على أشياء أدركها صاحب النص بحواسه الظاهرة، ويُدركها المتلقي بالحواس الظاهرة أيضاً تصير مقدمات يستند إليها العقل فيما بعد للوصول إلى الحكم على النص الذي سيتضح في وظيفة العقل في هذا المعيار.

المحور الثاني - إدراك العقل في نحو النص عند دي بوجراند

ينظر اللساني إلى النص بأدوات معرفية مختلفة منها الحسية التي تُدرك جانبه اللفظي، ومنها العقلية التي تُدرك جانبه المعنوي من معلوماته وغايته المراد إيصالها إلى المتلقي، ويفرض العقل اللساني عند دي بوجراند أنَّ تدرس اللسانيات جوانب النص كلّها عن طريق الاستنباط العقلي ((يمكن لنص منطوق أو مكتوب باللغة الانجليزية أن يكون أو أن يبدو مركباً من أمور مختلفة فقد يلاحظ من يتأمله رتلاً من الأصوات أو الصيغ... وربما لاحظ متأمل آخر أن المقصود بالنص يمكن أن يشتمل على معلومات وعلى معنى... ومن المعقول أنه لا بد للسانيات أن تحاول استنباط هذه المستويات وتنظيمها بوصفها مجالاً حقيقياً للبحث))^(٣٣).

وهذا الاستنباط وظيفية عقلية تُسهم في الاطلاع على مستويات النص وجوانبه المختلفة، ولاسيما إدراك مقاصد النص ثم يقوم العقل بوظيفة أخرى هي تنظيم تلك المستويات النصية؛ لذلك عدّ دي بوجراند دراسة النص والنظر إلى مستوياته المختلفة بدلاً من دراسة الجملة تحولاً فكرياً^(٣٤).

ويُشير دي بوجراند إلى حدود المعرفة الحسية أو الملاحظة في إدراك سطح النص وشكله الخارجي، وبعدها يتوقف، ويأتي دور العقل في إدراك جوانب أخرى في النص ((أما تناول النواحي التي لا تصل إليها الملاحظة كمرتكزات ... الاتصال أو العمليات النفسية فقد كان حدسيّاً غير شكلائي))^(٣٥).

إنّ المعرفة الحسية سطحية تدركها الحواس ثم يأتي العقل ليخترق ظاهر النص، ويتوغّل في أعماقه باحثاً عن المعنى الظاهر والمعنى الباطن. ((إنّ العنصر الحاسم في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني، ولذا فإن علم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب، وإنما يحاول النفوذ إلى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية. ومن عمليات عقلية كان النص حصيلة لتفاعلها جميعاً))^(٣٦).

ولابد من أن يتجّه الجهد العقلي في توظيف معطيات العلوم التي تُعين في إدراك مقاصد النص ودلالاته التي لا تصل إليها الأدوات اللسانية. ((يجب لجهودنا أن تتركس مبدأ تكافل العلوم المختلفة ... لأن اللسانيات وحدها لا تستطيع أن تقدّم الخبرة المطلوبة لمعالجة النواحي النفسية والاجتماعية والحسابية للنص المستعمل))^(٣٧).

ومن وظائف العقل إدراك المفاهيم والمعاني في النص؛ التي تشكل عالم النص، و((يتألف عالم النص من مجموعة من القضايا ... أي من علاقات بين مختلف المفاهيم))^(٣٨). وإنّ محل وجود المفاهيم هو العقل أو الوجود الذهني؛ فإنّ ((العالم النصي ... هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النص، وهو بهذه المثابة لا يوجد إلا في أذهان مستعملي اللغة))^(٣٩).

ويتألف عالم النص من شيئين : المفاهيم والعلاقات وكلاهما من مدركات العقل. ((عوامل النصوص من هي مكونة من مفاهيم ... وعلاقات ... في مساحة معلومية ... ويعد عالم النص فرعاً على مساحة الموقف))^(٤٠). ويحدّد دي بوجراند حالة المعرفة بمحتوى النص التي يعدها إحدى حالات المعرفة العامة بالخارج. ولا ريب في أنها تنتهي بمعرفة عقلية للنص ((أما كيفية معرفة الناس بما يجري في نص ما فهي حالة خاصة من حالات معرفة الناس بما يجري في العالم بجملته. وإنّ البناء على الوعي الاستبطاني ... يسمح لنا بفهم العالم لأن لدينا على الأقل بعض المرتكزات ... التي يستعان بها على التوقع، ونضع عناوين للدخل ... بواسطة مقارنة الأنماط))^(٤١).

ويحيل بوجراند معرفة النص في النهاية على المعايير النصية التي بني عليها النص ((أما النص فحقه أن يعرف تبعاً للمعايير الكاملة للنصية))^(٤٢). وهذه المعرفة تدرك بالعقل؛ لأنّ إدراك القواعد والقضايا من

وظائف العقل، ومعرفة النصية هي الوظيفة الأهم في نحو النص ((أما العمل الأهم للسانيات النص فهو بالأحرى دراسة مفهوم النصية ... من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات المتخذة من أجل استعمال النص ((^(٤٣).

أما مصادر المعرفة في المعايير النص فتبدأ المعرفة العقلية في المعايير النصية بوضع مفهوم "المعيار" وإدراكه؛ لأنّ صنع المفاهيم وفهمها من مختصات العقل. فقد وضع دي بوجراند سبعة مصطلحات لكل معيار مصطلح خاص به. ودي بوجراند يفسّر فاعلية العقل في إنتاج المفاهيم عن طريق مشاهد شيء ما. ((يبدو أن اكتساب المفاهيم يتم على الصورة التالية : يصادف المرء شيئاً ما فيلاحظه ... أي يبذل إجراءات صياغية تتعلق بمظهره وخصائصه. وتحدث محاولات لتحديد ما يوجد من العلاقات بين هذا الشيء من قبل ((^(٤٤).

ثم يأتي دور ثانٍ للعقل يتمثل بتعريف هذه المعايير النصية وتحديدها؛ لأنّ ((التعريف هو أحد الطرق أو أنواع التفكير ويلعب العقل الدور الأساسي فيه ... والتعريف نوع من التحليل أو التجزئة الذهنية التي تتحقق في عالم الذهن ((^(٤٥).

وهذا ما قام به دي بوجراند، فبعد أن وضع مصطلحاً لكل معيار قام بتعريفه، وبمكنا أن ندقق في المعايير النصية، وندرك وظيفة العقل في المعايير الآتية:

١- معيار السبك:

بعد أن يتم إدراك وسائل هذا المعيار عن طريق حاسة البصر كما تقدم سابقاً، تأتي مرحلة أخرى من الإدراك العقلي تتجّه نحو إدراك المفاهيم النصية والعلاقات بين هذه الوسائل، وإدراك كيفية تفاعلها في تحقيق التماسك النصي. فوسائل التماسك ليست مكونات لغوية تتوالى بأيّ ترتيب لغوي تراه حاسة العين أو تسمعه حاسة السمع.

وإنّما هناك ترتيب معين يحقّق صفة النصية "وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية... على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق" وتترابط فيه تلك المكونات ترابطاً منسجماً؛ لأنّ ((التتابع الرصفي... كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب))^(٤٦). وذلك الترتيب النسقي والنظام الرتبي يقترب منه العقل، ويدرك مواطن التناسق فيه بعد أن يحصل من البصر والسمع المعلومات الحسية، فيجد فيما بينها ذلك الترابط الوثيق.

٢- معيار الالتحام

هذا المعيار مصدره المعرفي الفعّال هو العقل؛ لأنّه يختص بالترابط المعنوي بين المفاهيم؛ فإنّ المفاهيم من منتجات العقل ومدركاته، وكذلك الارتباط فيما بين المفاهيم من شؤون العقل وقدراته على

الربط بين المفاهيم عن طريق وسائل منطقية ومعرفية أخرى، فالعقل يبذل جهداً كبيراً في إدراك عناصر توليد هذا المعيار؛ لأنه ((يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي... واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على(١)العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص... (٢) معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال

والموضوعات والمواقف،(٣) السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، وتدعيم الالتحام بتفاصيل المعلومات التي يعرضها النص... مع المعرفة السابقة بالعالم ((^(٤٧).

فينبغي أن يمتلك الباحث اللساني معرفة موسّعة لدراسة النص واستخراج وسائل الالتحام فيه ، فالقضايا المنطقية في النص من وظائف العقل المنتج للنص وتحليلها من وظائف العقل أيضاً؛ لأن الحواس ليس من قدرتها الدخول في فهم العلاقات المنطقية في بنية النص. وكذلك علاقة العموم والخصوص الرابطة بين مفاهيم النص من مجالات العقل التي يبدع في دراستها وتحديدها؛ لذلك يظل العقل هو الفاعل في متابعة الترابط الدلالي للنص مادام هذا المعيار يختص بالمعنى، ويعني ((استمرار المضمون بمعنى " تشكيل المعنى"؛ فهو ليس مجرد ملمح للنصوص، بل إنه بالأحرى نتيجة عمليات إدراكية لمستخدم النص ((^(٤٨).

وما يخصّ "معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف" في النص فيحتاج إلى قوة عقلية مدركة لذلك المقدار المعرفي الكافي لتنظيم مكونات النص من الأحداث والمواقف التي استطاع المؤلف ترتيبها وتأليفها بطرائق عقلية في نصه.

ولا ريب في أنّ أغلب مفاهيم النصوص مختلفة ما يجعل أغلب وسائل الترابط مختلفة، ولا يصحّ تطبيق هذا المعيار بتفاصيله على أيّ نص مع اختلاف وسائل الالتحام في اللغات فضلاً عن اختلاف معارف النصوص وسياقاتها الخارجية التي تحتاج إلى إمام معرفي قبل الشروع في تحليل النصوص.

٣- معيار القصد

عرّفه دي بوجراند قائلاً : ((القصد ... وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة ... من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها ... وهناك مدى متغير للتغاضي ... في مجال القصد، حيث يظل القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام... يتوسط بين المرتكزات ... اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف ((^(٤٩).

لا ريب في أن معيار القصد النصي هنا أوسع من قصد معنى لكلمة أو جملة أو أكثر منهما، أو قصد المعنى الكلي للنص. وإنما هو رؤية عقلية لمجموعة من ألفاظ تشكل صورة لغوية متماسكة لا بد أن تحقق غاية معينة، وهي أن تكون النص المطلوب فيه المعايير النصية "السبب والالتحام". وهذا النص ليس هو الغاية النهائية. بل هو وسيلة لغاية أخرى، فيمكن فهم معيار القصد من خلال تحليل مفهوم القصد إلى قاصدين: قصد كون الصورة اللغوية نصاً فيه

سبك والتحام. بمعنى آخر قصد إيجاد النص وتكوينه وإبداعه. وقصد كون هذا النص وسيلة للوصول إلى غاية معينة. ومادام معيار القصدية مركباً من قاصدين أو هو قصد كلي واحد جامع لهذين القاصدين فإنه لا يُدرك بالحواس، وإنما مجال فهمه العقل الذي من وظائفه إدراك المفاهيم الكلية والتصورات العامة بعد أن يتلقى صورة النص اللغوية عن طريق النظر الحسي بالقراءة أو بالسمع؛ فيأتي دور عقل المتلقي في الغوص في النص لاستخراج قصديته الكلية الشاملة لوجود حقيقة النص المفارقة للجملة أو لأية صورة لغوية أخرى لا ترقى إلى مستوى النص المستقل. وكذلك يسعى العقل إلى إدراك غاية النص كلّ التي قصدها المنتج حينما أوجد نصه. وهذا البحث العقلي عن المعنى ليس من السهل إدراكه مباشرة من النص ولا سيما في النصوص الراقية التي بذل فيها المبدعون تجربة ذاتية عميقة تحتاج إلى جهود عقلية مناسبة للإحاطة بقصده؛ لأنّ ((إنتاج النصوص وفهمها يتوقفان على عمليات كبيرة من الحكم والانتقاء والتخطيط والتصميم وحل الإشكالات))^(٥٠).

٤ - معيار القبول

يريد به بوجراند ((موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام. وللقبول أيضاً مدى من التراضي ... في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج))^(٥١).

يبدو من تعريف دي بوجراند لمعيار القبول أنه يساوي قراراً ونتيجة يصل إليها المتلقي. بعد قراءته النص. من النص نفسه الذي يشترط فيه أن يحقق قبول المتلقي، فهذا الموقف يمثل إجابة عن سؤال لساني هو ما مدى قبول النص من جهة نصيته ذات المعايير النصية كالسبك والالتحام؟. أهو مقبول أم مرفوض عند المتلقي؟.

ولا ريب في أنّ هذا الحكم في القبول والرفض يتوصل إليه العقل بعد دراسة النص وتحليله واستخراج المقدمات الضرورية من النص المدروس التي يصل إليها العقل أيضاً ثم يؤلف تلك المقدمات والأدلة النصية التي يعبر عنها إلى النتيجة النهائية في قبول النص أو رفضه.

إنها مهمة كبيرة يتحمل مسؤوليتها الباحث اللساني بما يملك من أدوات عقلية تعينه في إدراك قضايا النص الأساسية التي تصلح مقدمات في الاستدلال على تحقيق معيار القبول في النص. وهو موقف استدلالى يتخذه المتلقي ((موقف متلقي النص لتوقع نص مترابط ومتماسك... ويطرح السامع هنا شروط المعرفة بمعنى مد الاستدلال بوصفه إسهامًا/ في إنتاج التماسك ومغزى النص))^(٥٢).

٥- معيار الموقف

قدّم دي بوجراند توضيح هذا المعيار في قوله: ((رعاية الموقف ... وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه. ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره... وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن من أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر (مثلاً: جلجامش أو الأوديسا). إن مدى الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين))^(٥٣).

من مهام العقل في إنتاج هذا المعيار وضع المصطلح وتعريفه، ثم هناك وظائف عقلية أخرى في محتوى هذا المعيار تتمثل في إدراك "العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه". فثمة ثلاثة أمور يُدركها العقل هي: العوامل النصية الموجودة في النص، والموقف الخارجي الذي يرتبط به النص الذي يقوم العقل باستدكاره وإعادة حضوره عند التحليل النصي، والعلاقة الرابطة بين النص والموقف عن طريق تلك العوامل النصية التي تحقق ذلك الترابط.

فعلى المحلل اللساني أن يرصد تلك العوامل ودورها في الربط النصي بين النص وسياقه الخارجي سواء أكان ذلك السياق مباشراً يمكن استحضاره بسهولة؛ لأنه قد وقع في مقام تداولي محسوس أو غير مباشر عندما ينطبق النص على سياق خارجي مرتين بعالم غير محسوس يحتاج إلى جهود عقلية كبيرة لفهم صفاته ومكوناته الوجودية.

إنها وظيفة عقلية كبيرة تقع تحت الرصد العقلي للنص وللموقف الخارجي بتفاصيلهما والموازنة بينهما للوصول إلى مدى الارتباط النصي بين النص وسياقه؛ لأنه ((ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه... تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات... والتوقعات... والمعارف... وهذه البيئة الواسعة تسمى سياق الموقف))^(٥٤).

وقد ظهرت هذه الموازنة بين النص وموقفه في رؤية دي بوجراند في تصوره لمبدأ الأصل والفرع، وجعل النص فرعاً من الموقف ((يعد نموذج عالم النص فرعاً على مساحة الموقف))^(٥٥). وهذه الرؤية صحيحة إذ لا يمكن لمنهج النص أن يوجد نصاً إلا بوجود أصل سابق ينتزع منه مفاهيمه وتصورات حتى

وإن كان ذلك الأصل من نسج خياله وطاقته الإبداعية؛ لأنّ العقل ينظر إلى شيء ما ينتزع منه مفاهيم للتعبير عن ذلك الشيء الحقيقي أو الخيالي؛ لذلك هناك حتمية بين النص وموقفه، ف ((لا يوجد نص بدون ارتباط بالموقف؛ لأن معنى النص واستعماله يتحدد من خلال الموقف))^(٥٦).

٦- معيار التناص

تعريف دي بوجراند ل ((التناص ... هو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة بوساطة أم بغير وساطة. فالجواب في المحادثة ... أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة ... يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة. وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة. وتكامل النصوص عامل أكبر في مجال تحديد أنواع النصوص ... حيث تتشكل التوقعات بالنسبة لطوائف ... كاملة من الوقائع اللغوية))^(٥٧). يلحظ العقل - بعد أن تزوده الحواس بالمعلومات الضرورية - وجود علاقة بين النص الذي يراد تحليله وبين تلك النصوص عن طريق الموازنة العقلية التي تترك وجوه التشابه فيما بينها عن طريق عمليات عقلية كثيرة كإدراك التماثل في الدلالات أو التقارب في طرائق التعبير ونحوهما أو عن طريق التذكر لنصوص أخرى يحصل عند دراسة هذا النص الذي يُعيد ذاكرة المتلقي باستحضار نصوص أخرى قد تفاعل معها المبدع وتأثر فيها.

ولعل أبرز مجالات التناص وأفضل أشكاله عند دي بوجراند ذلك التناص القائم على السياق الاجتماعي واللغوي، وهذان المصدران المنتجان لهذا التناص يحتاجان إلى وعي كبير عند المتلقي لتشخيص آثارهما في النص ((ربما كان أكثر فائدة أن ندرس أنواع النصوص من زاوية تطور الاستعمال. فالتناص... الذي لا يستغنى عنه عند إرادة الانتفاع بالنصوص..... يأتي نتيجة لعوامل اجتماعية ولغوية))^(٥٨).

٧- معيار الإعلامية:

يرى بوجراند أنّ ((الإعلامية ... هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم ... في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم النص... في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))^(٥٩).

تشكل هذه المعلومات والمعارف المتعددة التي حصل عليها العقل من الحواس هذا المعيار النصي الذي يؤلف المقدمة الأساسية التي يعتمدها العقل في إنتاج الحكم الأخير على النص، وهو حكم لا يقع في دائرة اليقين، ويتعبير دي بوجراند السابق : "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم ... في الحكم". بمعنى أن

المتلقي عندما يصل إلى إعلامية النص يبدأ عمليات الاستدلال والبحث عن الأدلة في مكونات الإعلامية؛ للتدليل على ترابط المعلومات النصية، وللتدليل على اكتشاف المعنى، وتلك العمليات الاستدلالية كثيرة عند دي بوجراند.

إنها ((استدلالات إضافية... واستدلالات احتجاجية ... فتقع الاستدلالات الإضافية كلما جُدت معلومة على عالم أنموذج. وهذه المادة الجديدة تتطلب علاقة مقنعة على الأقل لربطها عند النقط المناسبة. فربما عمد مستقبل النص مثلاً إلى أن يقوم بالاستدلال على أسباب مقبولة لما قام به فاعل حدث وارد في النص من أجل فهم هذا الحدث... وأما الاستدلالات الاحتجاجية فلا تطرأ حتى تأتي المناسبة بسبب واقعة لاحقة. فنحن على سبيل المثال قد نستدل من أعمال شخص ما في جريمة غامضة على أنه في الحقيقة هو مفتش الشرطة وأنه في حالة استخفاء، وذلك بواسطة تذكر الأعمال السابقة للمفتش))^(٦٠).

وتدلّ الإعلامية على المعلومات الجديدة والمتنوعة في شبكة معارف النص برؤية دي بوجراند ، ((ننظر إلى هذا المصطلح ... من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف.. فإذا كان استعمال نظام في صياغة نص ما يتكون من الهيئة التي تبدو عليها العناصر المستعملة في وقائع ... صياغة هذا النص ... فإن إعلامية ... عنصر ما تكمن في نسبة احتمال ... وروده في موقع معين (أي إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية ... وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى كفاءة الإعلامية))^(٦١).

إنّ هذا النظر هو نظر عقلي يبحث في دلالة مصطلح "الإعلامية" على معارف جديدة أو متنوعة، والمتلقي يمكن أن يجد مظاهر هذا المعيار في النص عن طريق الموازنة العقلية بين معلومات النص ومعلومات العالم الذي يحيل عليها النص وتتجسد هذه الموازنة في "لازم المعلومات عن العالم" الذي وضعه دي بوجراند قال فيه: ((صممت رسماً هيكلياً أطلقت عليه "لازم المعلومات عن العالم" ... لأبين به كيف يمكن للمتفهم أن يقارن بين محتوى النص والمعلومات السابقة عن العالم. وقد تم رسم هذا الهيكل بنفس التناسب الذي في نموذج عالم النص، فلا يشتمل إلا على العقد التي يعرف الناس إلى حد ما أن بعضها متصل ببعض من قبل أن يطلعوا على نص الصاروخ))^(٦٢).

ويبدو من تطبيق دي بوجراند أنّ هذا الرسم الذي صممه ينطبق على "نص الصاروخ" دون غيره من النصوص الأخرى ما يعني أنّ المحلّ اللساني تكون له موازنته الخاصة عند تحليل نص ما تتمحور حول معلومات ذلك النص ومعلومات عالمه الخارجي.

ويقسم دي بوجراند الإعلامية على ثلاث مراتب، وهذه القسمة من فعاليات العقل التي بيّنتها نظرية المعرفة فيما سبق من وظائف العقل، فالعقل ينظر إلى المعلومة التي يقدمها النص ثم يقوم بموازنتها مع ما عنده من معلومات مخزونة في قوة الحافظة ثم يقسم الكفاءة الإعلامية على: مرتبة أولى ذات معلومات

جديدة ومرتبطة ثانية تحمل معلومات متنوعة ومرتبطة ثالثة تحمل معلومات مألوفة، وقد مثل دي بوجراند لهذه المراتب الثلاث بالشجرة وحالة جذعها.

ف((المرتبة الثالثة من الكفاءة الإعلامية. فإذا اشتمل عالم النص على "جذع شجرة" فإن ذلك لا يثير إلا قليلاً من الاهتمام لأن ذلك سبق اختزانه في الذهن من حيث هو وصلة محددة من نوع "جزء من...". ... فإذا نسب إلى الشجرة جذوع متعددة فإن ذلك سيجعلنا أكثر اهتماماً على الرغم من أنه لا يخلو من الإرباك (ليس نموذجاً ولكنه مسموح به، ومن هنا يكون من المرتبة الثانية)، فإذا كانت الشجرة بدون جذع أصلاً فإنها على أي حال تتفرّع في الهواء، وهنا نتوجس من التعارض بين ذلك وبين الوصلة المحددة(المرتبة الثالثة) ونتوقع تفسيراً أو نفرض أننا أمام عالم نص خرافي جداً(وذلك خفض))^(١٣).

وهذه "الشجرة" مثال توضيحي جيد لاكتشاف الإعلامية، فإن وجود جذع واحد للشجرة أمر مألوف يكاد يخلو من الإعلامية، والجذوع المتعددة للشجرة الواحدة أمر فيه نوع من الغرابة؛ فإن الشجرة ملازمة للجذع، وهو أصلها. وإن كان أكثر من جذع؛ فإن الإثارة في تعدد الجذوع فقط. ولكن وجود "الشجرة بدون جذع" أمر غير ممكن ومستغرب إلا في عالم الخيال ما يجعل الإعلامية تصل إلى مرتبة عالية في جدّة المعلومة.

والشجرة في تمثيل دي بوجراند هي جزء من النص ما يعني أنّ المتلقي اللساني عندما يبحث عن الإعلامية ومراتبها في النص ينبغي عليه أن ينظر في مكونات النص كلها، ويوازن بينها وبين معلوماته السابقة عن محتوى النص بدقة حتى يكتشف أوجه التشابه أو الاختلاف أو التنوع في المعارف ما بين النص ومعلوماته المخزونة حتى يصل بعد الموازنة التفصيلية إلى الإعلامية ومراتبها في ذلك النص. وهذا يفرض على المتلقي أن يحصل على معلومات كثيرة عن النص وأن تكون عنده قدرة على الموازنة بين المعارف عندما يحاول أن يقوم بتحليل النص بناء على المعايير النصية في نحو النص عند دي بوجراند.

الخاتمة والنتائج:

- إنّ نظرية نحو النص عند دي بوجراند تتفاعل في إيجادها مصادر معرفية أنتجت هذه المعايير التي تبناها في تحليل النصوص، ويمكن أن تجمل بما يأتي:
- ١- الحواس الظاهرة لها الأولوية في تلقي النصوص عن طريق البصر أو السمع، وملاحظة صورته اللغوية وتتابعها، وكذلك تؤدي دورها في إدراك المعارف الحسية من عالم النص ومن عالمه الخارجي. وهي معلومات مهمة تنقلها الحواس إلى العقل؛ ليجري عليها وظائفه المحورية في دراسة النصوص. وتزود الحواس العقل بالمعلومات الحسية التي تساعده في وضع المصطلحات للمعايير النصية ودراسة أبنية النص اللغوية وتصوراته ومقاصده التي تتعلّق في هذه المعايير التي تضبط بنية النص.
 - ٢- العقل يقوم بوظائف متعدّدة في نظرية نحو النص تتمثل بإدراك المفاهيم النصية ثم يضع لها مصطلحات، ومنها المعايير النصية التي ينتزعها من المقارنة بين النص وعالمه الخارجي. ثم يقوم العقل بوضع تعريفات لتلك المصطلحات حتى تكون واضحة.
 - ٣- يضع العقل معيار الالتحام ثم يعرفه ويعدها عند التطبيق يتحرى هذا المعيار عندما يبحث عن صور الارتباط فيما بين المفاهيم عن طريق العلاقات المنطقية والمعرفية بين دلالات النص.
 - ٤- في "معيار القبول" يقوم العقل بالحكم في قبول النص أو رفضه بعد دراسته ومعرفة المقدمات الضرورية من النص التي توصل إلى النتيجة النهائية.
 - ٥- يبحث العقل عن تجليات معيار الموقف في النص عن طريق الموازنة بين النص ومقامه الخارجي للوصول إلى ارتباط النص بسياقه.
 - ٦- يقوم العقل بالبحث عن وجود معيار التناص بين النصوص عن طريق الموازنة العقلية فيما بينها عن طريق عمليات عقلية تكتشف التماثل أو التقارب أو الاختلاف.
 - ٧- الاستدلال من الوظائف العقلية النشطة في تحليل نحو النص. وهذا الاستنباط وظيفية عقلية تُسهم في إدراك مقاصد النص، وتنظيم مستويات التحليل النصي. وكذلك يقوم العقل عن طريق الاستدلال بمعرفة مظاهر معيار الالتحام النصي عن طريق إدراك العلاقات المنطقية بين مكونات الدلالة النصية، وللاستدلال أثر كبير في معرفة معيار الإعلامية ومراتبها عن طريق الموازنة بين معلومات النص ومعلومات عالمه الخارجي.
 - ٨- يفرض نحو النص على الباحث اللساني معرفة حسية وعقلية مفصلة متنوّعة بالنص وسياقه الخارجي قبل أن يقوم بتحليل النص، والبحث عن معاييره النصية.

الهوامش:

- ١ - مصادر المعرفة . محمد حسين زاده : ٢٥ .
- ٢ - المصدر نفسه : ٣١ .
- ٣ - المصدر نفسه : ٤٥ .
- ٤ - أصول المعرفة والمنهج العقلي : ٣٤ .
- ٥ - المصدر نفسه : ٥٧-٧٦ .
- ٦ - مصادر المعرفة : ٤٢٣ .
- ٧ - أصول المعرفة والمنهج العقلي : ٣٤ .
- ٨ - المصدر نفسه : ٣٤ .
- ٩ - ينظر: المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات - نظرية المعرفة : ١٤١-١٥٤ . ومصادر المعرفة : ٤٥١-٤٩٤ .
- ١٠ - المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات - نظرية المعرفة : ١٤١ .
- ١١ - النص والخطاب والإجراء : ٦٩ .
- ١٢ - المصدر نفسه : ٩٥ .
- ١٣ - المصدر نفسه : ٤٥٢ .
- ١٤ - المصدر نفسه : ٦٩ .
- ١٥ - المصدر نفسه : ٦٨ .
- ١٦ - المصدر نفسه : ٧١ .
- ١٧ - المصدر نفسه : ٧١ .
- ١٨ - المصدر نفسه : ٨١ .
- ١٩ - المصدر نفسه : ٧٥-٧٦ .
- ٢٠ - المصدر نفسه : ٧٢ .
- ٢١ - المصدر نفسه : ٩٠ .
- ٢٢ - المصدر نفسه : ٧١ .
- ٢٣ - المصدر نفسه : ٥١١ .
- ٢٤ - المصدر نفسه : ٩٢ .
- ٢٥ - المصدر نفسه : ٩٥ .
- ٢٦ - المصدر نفسه : ١٠٣ .
- ٢٧ - المصدر نفسه : ٦٦-٦٧ .
- ٢٨ - المصدر نفسه : ١٠٣ .

- ٢٩-النص الخطاب والإجراء : ١٠٤ .
٣٠- المصدر نفسه : ١٧٣ .
٣١-النص الخطاب والإجراء : ١٠٤ .
٣٢- المصدر نفسه : ١٠٥ .
٣٣ - النص والخطاب والإجراء : ٨١ .
٣٤ - المصدر نفسه : ٧١ .
٣٥ - المصدر نفسه : ٧٦ .
٣٦ - مدخل إلى علم لغة النص- روبرت ديبيو غراند وآخرون . تصدير المترجم : ٨ .
٣٧ - النص والخطاب والإجراء : ٩٦ .
٣٨ - مدخل إلى علم لغة النص : ١٣ .
٣٩-النص الخطاب والإجراء : ١١٣ .
٤٠- المصدر نفسه : ١١٣ .
٤١- المصدر نفسه : ١٢٢ .
٤٢- المصدر نفسه : ٩٠ .
٤٣- المصدر نفسه : ٩٥ .
٤٤- المصدر نفسه : ١٨٨ .
٤٥-مصادر المعرفة : ٤٦٣ .
٤٦-النص الخطاب والإجراء : ١٣٦ .
٤٧- المصدر نفسه : ١٠٣ .
٤٨- مدخل إلى علم اللغة النصي - هانيه مان : ٨٠ .
٤٩-النص الخطاب والإجراء : ١٠٤ .
٥٠- المصدر نفسه : ١٢٢ .
٥١- المصدر نفسه : ١٠٤ .
٥٢-مدخل إلى علم اللغة النصي - هانيه مان : ٨١ .
٥٣-النص الخطاب والإجراء : ١٠٤ .
٥٤- المصدر نفسه : ٩١ .
٥٥- المصدر نفسه : ١١٣ .
٥٦-مدخل إلى علم اللغة النصي - هانيه مان : ٨١ .
٥٧-النص الخطاب والإجراء : ١٠٤ .
٥٨- المصدر نفسه : ٤١٢ .

مصادر المعرفة في نحو النص بحث في التأسيس المعرفي للمعايير النصية عند دي بوجراند

- ٥٩- المصدر نفسه : ١٠٥.
- ٦٠- المصدر نفسه : ١١٩.
- ٦١- المصدر نفسه : ٢٤٩.
- ٦٢- المصدر نفسه : ٢٤١.
- ٦٣- المصدر نفسه : ٢٥٧.

المصادر والمراجع:

- ١- أصول المعرفة والمنهج العقلي - د. أيمن المصري. ط١، الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ٢٠١٢م.
- ٢- مدخل إلى علم لغة النص - روبرت دييو - غراند وآخرون. مطبعة دار الكتاب، ط١، ١٩٩٢م.
- ٣- مدخل إلى علم لغة النص - فولفجانج هاينه مان. ترجمة وعلق عليه ومهد له أ. د. سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق، ط١، مصر ٢٠٠٤م.
- ٤- المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات - نظرية المعرفة - حسن مكي العاملي. الدار الإسلامية، ط١، لبنان ١٩٩٠م.
- ٥- مصادر المعرفة - محمد حسين زاده. تعريب حيدر الحسيني، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، ط١، العراق ٢٠١٩م.
- ٦- النص والخطاب والإجراء - روبرت بو جراند. ترجمة د. تمام حسان. عالم الكتب، ط١، مصر ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.